جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

قطوفٌ دانيةٌ
من الأدبِ إنتاجاً وتلقِّياً

الدكتور

عز العرب فاروق عبد الرزاق محمد

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بطبرجل ـ جامعة الجوف
ومدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

قطوفٌ دَانِيَةٌ من الأدبِ إنتاجاً وَتَلَقِّياً

عز العرب فاروق عبد الرزاق محمد

كلية العلوم والآداب بطبرجل ـ جامعة الجوف ـ المملكة العربية السعودية

الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Fmmm0000@yahoo.con

الملخص

الحمد لله الذي شرَّف من عباده العلماءَ ، واختصهم من بين عباده ، فجعلهم ورثةَ الأنبياءِ ، وأشهدهم على وحدانيتهِ وربوبيتهِ ،سبحانه يرفعُ من يشاء : قال الله تعالى في سورة المجادَلة "﴿يرفعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

وبعدُ

فإن هذا البحث يطرح بعض الأسئلة من خلال (التغذية الراجعة – feedback) أو من خلال العصف الذهني أو القدح الذهني (بالإنجليزية:" Brainstorming" و هو أحد أساليب الإبداع الجماعي، حيث تحاول المجموعة إيجاد حل لمشكلة ما عن طريق تجميع قائمة من الأفكار والحلول التي يساهم بها أفراد المجموعة بشكل عفوي..

ــ النماذج التي أتت في ثنايا هذا المقترح ما هي إلا قليل من كثير من النماذج التي تلف الأدب العربي يَمْنَة ويَسْرة – قديما وحديثا .

البحث يقوم على المقارنة بين ما كان عليه الأدب قديما وبيناه الآن من خلال البينية السردية ، ومتى يعود الأدب في عصرنا الحاضر إلى ماضيه المشرق ؟

الكلمات المفتاحية : **الأدب ، قطوف من الأدب ، التغذية الراجعة ، البينية السردية .**

A worldly harvest of literature, production and reception

Ezz El-Arab Farouk Abdel-Razzaq Mohamed
College of Science and Arts, Tabarjas - Al-Jouf University, Saudi Arabia
of literature and criticism at the Faculty of Arabic Language in Mansoura - Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: Fmmm0000@yahoo.com

Abstract

This research raises some questions through (feedback) or through brainstorming or brainstorming (in English: "brainstorming", which is one of the methods of group creativity, where the group tries to find a solution to a problem by compiling a list of ideas and solutions That the group members contribute spontaneously.

The models that came throughout this proposal are just a few of the many examples of Arabic literature, left and right - both in the past and in the present.

The research is based on a comparison between what literature was in the past and what it is now shown through the narrative intricacy, and when does literature in our present age return to its bright past?

Keywords : Literature, Qotof from Literature, Feedback, Narrative Interface.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأفكار الرئيسة لهذا البحث :

أولاً- الأدب كائن حي ومرآة للداخل ، وتحته عناصرُ منها :

- الأدب ناقل حضاري .
- الأدب واللذة النفسية .
- الأدب بصيرة ، وحمال أوجه
- رسالة الأدب .

ثانياً – الأدب بين الماضي والحاضر .

ثالثا – العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي .

رابعا – الأدب والمجتمع مقاربة تاريخية .

وأخيراً: متى نعود إلى أدبنا ؟ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولاً- الأدب كائن حي ومرآة للداخل ـ الأدب والعقل .

ما أشبه الأدبَ بالكائن الحي ؛ إذْ يخضع في تطوره للمؤثرات العامة في البيئة الطبيعية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والأخلاقية ، والدينية ، كما تنعكس عليه آثار الأحداث من حرب وسِلْم ، ومن خصومات ومنافرات ، وينبغي لفهْم الأدب في أي عصر من العصور دراسةً الأحوال والظروف التي وُجدت حينئذ .

"ولئن كان العلم يغذي النزعات العقلانية، فإن الأدب يغذي الجوانب والأحاسيس، ولكن ليس على الإطلاق .....، وقد يغذي الأدب العقل والعاطفة معاً، وكذلك العلم قد يغذي الوجدان والعقل معاً، فالفصل بين مكونات الإنسان أمرٌ معقدٌ وصعبٌ بتعقيدِ شبكة التفاعل بينهما، ولا يحدث الفصل إلا لأغراض الدراسة، فالعقل يؤثر في الوجدان و يتأثر به، فالوجدان يتأثر بالمدركات و الخبرات العقلية المكتسبة فإحدى وظائف الأدب غذاءٌ للعقل و العاطفة ونقل الخبرات والتجارب البشرية من جيلٍ ومن شخصٍ إلى شخصٍ ويمكن أن نعرف العلم : بأنه نقل التجارب المادية عبر الأجيال لإفادة البشرية، ونعرف الفن بأنه نقل التجارب الروحية عبر الأجيال لإفادة البشرية، وأن هدفهما معاً هو ترقية الحياة الإنسانية وإثراؤها وتعميق فهمنا لها وجعل معيشتنا فيها أكثر راحة ومتعة ومنفعة. الأديبُ إنسانٌ يعيش في العالم حي زاخر بتجارب تنسجم من خلال تفاعلات البشرية ومكتسباتها عبر مسارها الطويل، في البيئة التي تحيط بها تلك التجارب المتشكلة عبر دهاليز العقل والوجدان حباً وبغضاً، عدلاً وظلماً، وكل ما يتبادر إلى أذهاننا من تفاعلات ديناميكية الحركة الإنسانية، والأديب الذي تشكل في بوتقة التجربة الإنسانية و رشح إبداعاً يبدع ليمتع نفسه ويخفف بها شحنات العواطف المختزنة في العقل

والوجدان وليمتع غيره ممن يجدون في إبداعه تعبيراً حياً عن خوالجهم المتأججة، وهو يهدف إلي تغير معالم واقعه وتحويره وإعادة صياغة وترتيب أشكاله فتأتي تجربته الإبداعية الإمتاعية النفعية اختزالاً لمعادلة التواصل البشري علي مر العصور (فما لا شك فيه أن الشاعر يستهدف تحقيق المتعة والتسلية وتحويل الاتجاهات ولعّله يشعر بمزيدٍ من الرضا حين يستوثق من أن المتعة أو التحويل قد يتحققان لأكبر عدد من الناس."[١]

ـ الأدب ناقل حضاري .

يسجل الأدب مظاهر الحياة ،وخواطر النفس ، ومشاعر المجتمع ؛ لأنه شعاع الحس المرهف ، وعبير النفس الصافية ، والقبس الإلاهي في كل قلب، والجانب الروحي من كل إنسان .

وهو في كل أمة : دليل على سمو رُوحها ،وقوة إنسانيتها وكل أمة حُرمتْ منه تبلدت مشاعرها ،وتعطل خيالها ، واستبدت بها المادية التي تُلْحقها بعالم الحيوان .

ـ الأدب واللذة النفسية .

الأدب هو : وسيلة الاستمتاع بجمال الطبيعة والحياة ؛ لأنه مسرة النفس ،ومُتنفسُ الحزين ،يهدْهِد الحياة بأنغامه ، ويرسم المثل العليا إليها بأحلامه . قال أبو تمام في قصيدته التي مدح فيها الوزير أحمد بن أبي دُوَاد :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناةُ المعالي كيف تبنى المكارمُ

(١) ت.س إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ترجمة د. يوسف عوض، دار القلم ١٩٨٢ بيروت، ص٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وللبيت رواية أخرى :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارمُ

كما يُروى : بغاة العُلا ، وبناة العُلا في الشطر الثاني ،و وما درت ْ في الشطر الأول .

لاحظ معي الألفاظ المستعملة في البيت ؛ لتشعر بـــأثر الأدب قـــديما ، الذي نرجوه حاضرا .

اُنْظرْ كيف تخلّص " بشار بن بُرْد " من عماه بقوله :(١)

عمِيتُ جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاضَ ضياءُ الْعين للْعلم رافداً (٢) لقلب إِذا مَا ضيعَ الناسُ حَصَّلا

وشعرٍ كنَوْر الرَّوْض لاءَمْت بينهُ بقول إِذا مَا أَحْزَن الشعرُ أسهلا

"ويُرْوى أَنه قيل لبشار وَقد أنْشد هَذَا الْبَيْت – عميت جنينا – مَا قيـــل أحسن من هَذَا التَّشْبِيه فَمن أَيْن لَك هَذَا ولَم تَرَ الدُّنْيَا قطّ ولَا شَـــيْئا مِنْهَـــا ؟

(١) ينظر : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبـــو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـــ) الجزء الثاني ص ٣٠ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب – بيروت . و: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضـــيف ص ١٣٦، دار المعارف مصر الطبعة الثانية عشرة . و: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار لجـــار الله الزمخشري المتوفي ٥٨٣ هـــ الجزء الخامس ص٣٧: مؤسســـة الأعلمـــي، بيـــروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـــ .

(٢) عني: أن العمى يكون رافدا للعلم ومعينا عليه. وفي الأصل: «رافد» بالرفع – البرصـــان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـــ) ص ٤٨: دار الجيل، بيـــروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـــ .

فَقَالَ إِن عدم النّظر يُقَوي ذكاء الْقلب وَيقطع عَنهُ الشّغل بِمَا ينظر إِلَيْهِ من الْأَشْيَاء فيتوفر حسه وتذكو قريحته [١]

وانظر إلى (الحسن بن هانئ) "أبي نُواسَ "كيف تغزَّل في" جنان " جارية الثقفيين ؛ مع أنها سبتْه ، يقول :[٢]

أتاني عنك سبٌك لي فسبي	أليْس جرى بفيك اسمي فحسبي
وقولي ما بدا لك أنْ تقولي	فما ذا كله إلا لحبي
قُصاراكِ الرجوعُ إلى وِصالي	فما تَرْجينَ من تعذيبِ قلبي
تشابهتِ الظنونُ عليك عندي	وعلْمُ الغيبِ فيها عند ربيِّ

وانظر" إلى روح السخرية المريرة المتأتية من الكراهية المَقيتة ، والحسد ، ... ولعل أصدق مثال على ذلك قصيدةَ " أبَان بن عبد الحميد اللاحقي " في هجاء جار له من ثقيف اسمه "محمد بن خالد بن عمار الثقفي" – وكان محمد هذا عدوا لأبان – عندما تزوج من فتاة اسمها عمارة بنت

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) الجزء الثاني ص ٣٠ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) ينظر كتاب :الزهرة باب من منع من كثير الوصال قنع بقليل النوال لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني البغدادي الظاهري (المتوفى: ٢٩٧هـ) الجزء الأول ص ٣٨ ، لكنه لم ينسبه لقائله هنا . وكذا جاء دون نسبته لقائله في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر ١ /٢٥ لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري (المتوفى: ٤٥٣هـ) . وكذا جاء دون نسبته لقائله في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ٧٩/١ لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، مطبعة الصاوي عام النشر: ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عبد الرحمن الثقفي طمعا ، وكانت كثيرة المال " "[(١)] " فقال " أبان " يهجوه ويحذرها منه :

لما رأيت البز والشارهْ ... والفَرش قد ضاقت به الحارهْ
واللوْز والسكر يُرْمى به ... من فوق ذي الدار وذي الدارهْ
وأحضروا الملهين لم يتركوا ... طبْلا ولا صاحب زُمارهْ
قلت لماذا ؟ قيل أعجوبة ... محمد زوِج عمارة
لا عمّر الله بها بيته ... ولا رأتْه مدركا ثارهْ
ماذا رأتْ فيه ؟ وماذا رجتْ؟ ... وهْي من النسوان مختارهْ
أسود كالسفود يُنْسى لدى التـ ... ـنور بل محراك قيارهْ

وما كادت " عمارة " تسمع هذا الهجاء حتى فرت على وجهها .

ـ الأدب بصيرة ، وحمّال أوجه .

الأدب – كذلك– من الفنون الرفيعة التي يعبر كل منها بطريقته الخاصة عن مظاهر الحياة ، وخوالج النفس ،تُهز المشاعر بجماله وروعته.

وهو: يصور ما في النفس من فكرة أو عاطفة تصويرا جميلا ، ثم ينقل هذا التصوير إلى نفوس القراء ،وآذان السامعين ،فيؤثر فيهم ، ويهُز

(١) الأدب العربي في العصر العباسي د /ناظم رشيد ، ص ٣١ ، مديرية إدارة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل (١٤١٠هـ – ١٩٨٩م) . و : كتاب الأوراق – قسم أخبار الشعراء – لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى ٣٣٥هـ) الجزء الأول ص ٢٤ شركة أمل القاهرة ١٤٢٥ هـ .

خواطرهم ، ويُوقظ مشاعرهم، ويعينهم على فهم الحياة ، ويوجههم إلى أرفع المثل وأنبل الغايات .

لما هجا " النجاشي " الشاعر " بني عجْلان " استعدوْا عليه أميرَ المؤمنين " عمرَ بن الخطاب " رضي الله عنه ، وقالوا يا أمير المؤمنين إنه هجانا ، فقال وما قال ؟ فأنشدوه :" [1] "

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهطَ بن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يُجاب ، أو قال : إنّ الله لا يعادى مسلما ، أو قال : هذا رجل دعا، فإن كان مظلوما استُجيب له، وإن لم يكن مظلوما لم يُسْتجبْ له.

فقالوا إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردلِ

ويريد بذلك أنهم ضعفاء ، وهم أقل من أن يغدروا أو يظلموا ، فقال عمر : ليتني من هؤلاء ، أو قال ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا إنه قال :

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ) الجزء الأول ص ٥٤ دار الجيل، بيروت و : العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى٤٦٣ ه) تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد الجزء الأول ص٥٢- دار الجيل – الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) و : الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى ٢٧٦هـ) الجزء الأول ص٣١٩- دار الحديث القاهرة (١٤٢٣هـ) و : العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى٣٢٨هـ)الجزء السادس ص ١٦٨- دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا يردون المـــاء إلا عشية إذا صدر الوُرّادُ عن كل منهلِ

فقال: ذلك أصفى للماء، وأقل للسكاك أو للزّحام ! قالوا : فقد قال:

تعاف الكلاب الضاريات لحمهم وتـأكل من كعب بن عوف ونهشلِ

فقال عمر : كفى ضياعاٍ من تأكل الكلاب لحومهم ، قالوا فإنه قال :

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ، أو قـــال : ســـيد القـــوم خادمهم ، فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال : ما أسمع ذلـــك ، فقـــالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم ، وكان عمر" رضي الله عنه " أبصر الناس بما قال النجاشي ؛ ولكن أراد أن يـــدرأ الحدود بالشبهات .

ثانياً - الأدب بين الماضي والحاضر .

شكّل الشعر في العصر الجاهلي ديوانًا للعرب ؛ فكان المرآة الناطقة للحالة المجتمعية على كافة الأصعدة، أفراحِها وأتراحِها، سلمِها وحربِها، نصرِها وانكسارِها، وتبيانِ أمجاد الفرد والجماعة.

ومحددات المكانة والهجاء والمديح كانت من الأدبيات الفاعلة، فكم من بيت أو قصيدة مروية تركت أثرًا اجتماعيًا كبيرًا.

فهذا عمرو بن كلثوم يدخل التاريخ بقصيدته –المعلقة– لاحقًا والتي مطلعها:

ألا هبي بصحنك فاصْبحينا ولا تُبْقي خمور الأندرينا

والتي تضمنت أبياتٍ من أروع ما قيل في الفخر؛ ليتم تداولها على نطاق واسع في أوساط القبيلة ؛ لأنها ارتبطت بحرب البسوس بين (بكر وتغلب) مشيدة بمواقف بطولية حفزت مزيدًا من الحماس والشجاعة والإقدام بمفهوم ذلك الزمن.

أيضًا ما آلت إليه نهايتها من نصر تكلّلَ بمقتل (عمرِو بنِ هند) وكان من حجم أثر هذه القصيدة على مجتمع الشاعر أنها أشغلتهم افتتانًا بها وترديدها حتى قيل فيهم :

ألْهى بني تغلبٍ عن كل مكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثاً – العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي .

يمكن للأدب أن يكون (صورة عن الواقع الاجتماعي بأبعاده النفسية والفكرية والشعورية والمادية) ؛ بل قد يكون الأدبُ الضوءَ الذي يتم تسليطه على معاناة معينة ، ويتم لفت نظر المجتمع لهذه المعاناة وبالتالي إيجادُ حلول جذرية لها ، أي إن الأدب يمكن أن يكون مرآة لكل ما يدور في المجتمع ، وبقدر جديته وتركيزه على القضايا الإنسانية يكون نجاحُهُ ؛ بأن يتحول لجزء من الواقع الاجتماعي ، وليس مجرد انعكاس له ، فكم من الروايات غيرت مجرى حياة الكثير من الناس ؛ بل غيرت مفاهيم متجذرة في المجتمع .

الأدب – أيضاً – له وجه آخر وهو(الوجه الخيالي) ، بمعنى أن يتمكن الأديب من نقل القارئ العادي إلى عوالم من الخيال الذي لا يمكنه أن يتخيله كشخص عادي ،و تتحول الرواية الخيالية إلى رحلة إلى مجهول آخر جميل ومثير ومحرك للذكاء والفضول .

يعلم القارئ والكاتب أنهما يبحران في عوالم خيالية ، ولكنهما ومنذ البداية عليهما الذهاب في تلك الرحلة عبر الخيال فقط ، فيطلق كل منهما العنان لمشاعره وأفكاره بالإبحار لتلك العوالم الخيالية بلا قيود ، ولا حدود لزمان أو لمكان ؛ بل قد يبدو أن هذا الأدب الخيالي من أجمل ما يعتري النفس البشرية بتحريرها من كل ما هو واقعي ، وهذا الخيال يمنحها بعداً آخر للواقع الذي تعيشه ، فهي تخرج من قيودها عبر الأدب الخيالي وترحل معه بعيداً عن الواقع ، وحين تعود لواقعها تعود محملة بكل تلك الصور الخيالية ، فيحصل المزج ليس بين الصور الخيالية والواقعية ؛ بل يحصل

المزج في عالمين من الشعور ؛ لأن الشعور لا يفرق بين ما هو خيالي وما هو واقعي ، لذلك يحلق الشعور بالقارئ إلى فضاءات أخرى حتى ولو كانت أفكاره من العالم الواقعي.

وحين يكون الأدب صورة عن الواقع لابد أن يكون شديدَ النقاء وشديدَ الدقة في نقل تلك الصورة الواقعية ؛ لأن الخيال يسمح بالالتفاف حول الأفكار؛ ولكن الواقع لا يسمح بذلك ولا يسامح على ذلك الالتفاف ، حين يكون الأدب واقعياً لابد أن يكون حزيناً حين يكون الواقع حزينا ، لابد أن يكون غاضباً حين يكون الواقع غاضبا ، لابد أن يكون مملاً حين يكون الواقع مملا .

الأدب الواقعي عالم جدي جدا ولابد أن يكون الأديب على درجة من المسؤولية والإدراك حين يكتب عنه ؛ لأنه لا ينقل صورا فقط ؛ بل يرسم حياةً بأكملها على الأوراق ، ولا يُسمح له بتزوير ما هو واقعي .

إذا كان الواقع خارج ذواتنا ثابتا ؛ ولكنه بأعماقنا ليس ثابتا ، فنحن نرى الواقع بمنظار المشاعر والأفكار ونحاول أن نفهم الواقع عبر ما يدور بأعماقنا ، فيكون دورُ الكاتب رؤيةَ الواقع ، واستقراء ما يدور بداخل الأشخاص من حوله ، أي أنه : راصد للواقع وبذات الوقت يحل شفرة الذات الداخلية للإنسان ؛ لأن الحياة ليست الواقع فقط ، بل هناك عوالم أخرى تمتد لأبعد من الواقع الذي نحياه .

ولكن ما الذي يبحث عنه الكاتب حين يكتب عن الواقع ؟ هل يبحث عن الحقيقة ، الإثارة ، أم أن يجعل كتابَه أكثر مبيعا حتى ولو كتب عن كل أنواع الشذوذ الأخلاقي والنفسي مقابل شهرة دائمة أو مؤقتة ؟ الكاتب الباحث عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشهرة وتألق الاسم مهما كان الواقع الذي يكتب عنه ، يبقى كاتبا ولكنه لا يلب المطلب الانساني والأدبي الأول ، وهو : البحث عن الحقيقة ؛ لأنه لم يبحث عن الحقيقة ولكنه بحث عن النجاح عبر ما لفظه المجتمع وأحتقره من تصرفات أو أفكار ، لا يمكن أن يكون أديبا ؛ ولكنه ناقل للغرابة ، للإثارة وبأي ثمن ، القارئ حين يقرأ كتابته لا يقرأ له فعلياً ولكن يقرأ عن الغرابة والشذوذ وما خرج عن المألوف .

أما الأديب الحقيقي فهو من جذب القارئ لكتابته عبر الأبعاد الإنسانية المخبوءة في الذات البشرية ، فمهما ابتعدت هذه الذاتُ عن قيمها الانسانية تشعر دائماً بالحنين لهذه القيم وحين تجدها في أدب لم يتجاهلها تستعيد اطمئنانها بأنها لم تفقدها تماماً ؛ بل قد يُعيد الأدب لها الرغبة بأن تعود من جديد لهذه القيمة ؛ لأنه بدونها أصبح إنسانا آخر أقل إنسانية . الأديب الحقيقي :هو من حافظ على ملامحه الانسانية في كل المواقف وفي كل السطور والصفحات ،لم يحافظ على هذه الانسانية ليبدو أجمل؛ ولكن لأنه و ببساطة لا يستطيع أن يعيش بدونها لا يستطيع أن يكتب بدونها ، لذا يبدو أن أكثر الأدباء العالميين شهرة هم أكثرهم إنسانية ورقة وشفافية .

قد يكتب الكاتب عن الواقع ولكن مهمته الأساسية : هو أن يكشف ما يقبع خلف الواقع من مشاعر، هذه المشاعر قد تكون نبيلة ،وقد تكون غير ذلك ، قد تكون مثالية وقد تكون مادية ؛ ولكنها المحرك لكل التصرفات الإنسانية ، قد تنحرف بسبب الطمع والحقد ، وقد تتخذ المسار الصحيح بسبب الحب والحيدة والإنصاف ،جميع الأعمال الأدبية تحمل ذلك الوجه الواقعي للعمل الروائي ثم تحمل ذلك الوجه الخفي لما يدور في الذات البشرية ،وما يدور في الذات البشرية يبدو أكثر تعقيداً مما يدور في الواقع

الحسي ؛ لأنه بداخل هذه النفس تكمن جميع المشاعر ،جميع الرغبات ، جميع التطلعات – وأيضاً آخر محطات اليأس والانسحاب غير المعلن .

ولكن هل يأخذ الأديب دور المصور الفوتوغرافي للواقع ؟ إذا اكتفى الأديب بأن يأخذ دورَ المصور، فهو فعلاً يكون مصوراً فوتوغرافياً ، ليس بالكاميرا الخاصة به؛ بل بالكلمات والحروف والجمل ، وهو بذلك لا يُضفي شيئاً جديداً للقارئ ، كل ما يفعله هو أن يزود القارئ بالصورة ، ونجاحه لا يكمن إلا بمقدار صفاء الصورة ، وهو لا يفعل سوى إعطاء القارئ فرصة رؤية الواقع مرتين ليس إلا ، ولكن العمل الأدبي الفني لا يكتفي بأن يأخذ دور الكاميرا ؛ بل يمنح للواقع صورا أو حتى عدة صور مختلفة الألوان والحركة والتفاعل ، يضع رؤية جديدة لكل تفاصيل الصورة ؛ لأنه يرى الأحداث من منظار متعدد الأبعاد والزوايا ، وليس من منظار الكاميرا المحدود ، الأديب الفنان يرى الواقع من عدة أبعاد وليس من بعد واحد ، يكتب عما هو بسيط بلغة عميقة ، ويكتب عما هو معقد بلغة بسيطة ؛ لأنه يفكك الواقع ويعيد تشكيله برؤية الانسان الأديب وبمقدار وعيه الانساني والثقافي تأخذ هذه الصورة الواقعية أبعادا أوسع ؛ ولهذا يبدو أن الأديب الحقيقي له دوْر غير دوْر الكتابة الأدبية، له دور إيجاد الحلول- أيضاً لمشاكل انسانية لأنه يرى العالم بمنظار متعدد الأبعاد.

من ناحية أخرى ، لابد أن نتعلم كيفية قراءة الأدب ، خصوصاً لمن قرأ الكثير من الأعمال الأدبية، لابد أن تتوفر مهارةُ رؤيةِ كل عمل أدبي بنظرة جديدة ودون أفكار مسبقة تقارنها أو تشبهها بعمل آخر ، فمهما تشابهت الأعمال الأدبية خصوصاً حين تتحدث عن الواقع فإن روح كل كاتب تختلف عن الآخر ، وعملية الكتابة عملية روحية بالدرجة الأولى رغم كونها تتصل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بجميع العلوم الأخرى، ولكن العلاقة الأصلية والأساسية بين الكاتب وما يكتب هو صلة روحية مع ما يكتب ،ما دفعه للكتابة ليس الألم أو الفرح، وإلا يمكن لكل انسان يتألم أو يفرح أن يكتب ، ما دفعه للكتابة هو: نداء الروح بأن تتسلل الكلمات بهدوء دون هدف ودون غاية لتبدأ بنسج تلك العلاقة الأدبية بين الكاتب وأوراقه ، هذه العلاقة الروحية تنشأ عندما : يكتب أول سطر ولا يدركها في البداية ؛ ولكنه مع استمراره في الكتابة يستشعر هذه العلاقة بقوة أكبر ، لا يستطيع وصفها ؛لأنها خارج حدود الوصف ، ولكن كل ما كتبه يحمل طيف هذه الروح الشفافة الخفية .

وأخيراً، لكي نستمتع حقاً بالأدب لابد أن نتخلى عن جميع أفكارنا حول الموضوع الذي نقرأ عنه، أن نقرأ وكأننا لا نعلم ، أن نقرأ وكأننا نشعر لأول مرة ، أن نقرأ وكأننا برحلة اكتشاف الحياة ، وحين ننتهي من القراءة يمكن لنا أن نستعيد أفكارنا المسبقة ونكتشف إن كنا قد أضفنا شيئا أجمل أرفع أنقى لأفكارنا أم أننا أضعنا الوقت والجهد بقراءة ما لا يستحق القراءة .

قراءة الأدب لا يجب أن تخضع للنقد خلال القراءة ؛ ولكنها تقدم نفسها طواعية للنقد بعد القراءة خصوصا حين يكون هذا الأدب يتحدث عن الواقع[١]

(١) مجلة ديوان العرب مقال : العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي – سناء أبو شرار– الأحد ٢٦ حزيران ٢٠١٦م

رابعاً - الأدب والمجتمع.. مقاربة تاريخية .

تشكل العلاقة بين المعرفة والأدب والمجتمع علاقة اعتماد متبادل في غالبها وتأثر وتأثير فيما بينها، وهذا بالتالي يحدد علاقة الأديب بمجتمعه حسب قوة تجاذب أو تنافر هذه العلاقة، ولا يقلل من ذلك تشكل العلاقة بين المعرفة والأدب والمجتمع علاقة اعتماد متبادل في غالبها وتأثر وتأثير فيما بينها، وهذا بالتالي يحدد علاقة الأديب بمجتمعه حسب قوة تجاذب أو تنافر هذه العلاقة، ولا يقلل من ذلك اتصافُ الأدب أو المعرفة أو حتى الإبداع في بعض منابعها بداية بالذاتية لحين بلورة الفكرة وتشكل الرؤية؛ لأنه من المعروف أن الأدب ظاهرة اجتماعية، إذا ما أُخذ بالاعتبار كونُ المادة الأدبية في غالبها تعود في شكلها الأولي إلى الحياة والمجتمع .

والمبدأ العام في نشأة الأنواع الأدبية وتطورها وفناء بعضها في بعض، أو انقراضها يقوم أساسًا :على تطور المجتمعات، إذ لكل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي قيمُها الجمالية التي تتجلى في أنواع أدبية بعينها، وفق قدرة وإبداع الإنسان في ذلك مع النظام الاجتماعي، ويمثل العمل : الأساس الذي يفسر كل تطور وتغير في الظواهر بما فيها الظاهرة الأدبية والفنية، أي إن الإبداع يتطور وفق تطور العمل ذاته وتحسن وسائله وأدواته.

وهذه العلاقات فيما بينها يحدثها وينميها ويوجهها الحراك الاجتماعي وما ينجم عنه من تفاعل بين الفرد والمجتمع الفرد بمساهمته والمجتمع باحتوائه لها وتكثيفها إلى درجة النفع العام ولا يتحقق ذلك إلا عبر المكون الأكبر لمحتوى هذا التفاعل، وهو ما يعرف بالبناء الاجتماعي،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبمكوناته من قيم ومعايير وأعراف ومستوياته المتدرجة لنسيجه وفي إطار الثقافة المجتمعية السائدة.

ويتحقق التكامل في أحسنه من خلال المستويات الثلاث التي تحدد منظومة الأدوار ونصيب كل فرد منها وفي إطار نظام اجتماعي معين، وأيضًا تحديد مستوى الترابط بينها، أي: الأهمية النسبية للأدوار ومدى تلاؤمها وتجانسها للانتقال من الحالة الفردية إلى الجماعية، ولتصلَ إلى المستوى الثالث كأهمها ؛ إذ يمكن اعتبارُه الكلَّ المؤلَّف من مجموعة أجزاء تمثلها الأنظمة الاجتماعية المساندة كالنظام (الأسري، والديني، والاقتصادي، والتربوي، وغير ذلك من الأنظمة المستحدثة) والتي في تكاملها تحدث أثرًا في الوظيفة للفرد والمجتمع.

ومن هذا المنطلق ورغم كون المنجز الأدبي أو الإبداعي فردي الصبغة في تناوله الأولي إلا انه قيل :إن للأدب انعكاسات اجتماعية حتى في أكثر موضوعاته خصوصية، فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطًا لغويًا، بل حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر.

وفيما يتعلق بالإرث التاريخي لعلاقة الأدب بالمجتمع فمن خلال نظرة إلى الماضي البعيد وفي اليونان تحديدًا نجد إن الملهمة للفلسفة اليونانية هي ملحمة «الإلياذة والأوديسة» واللافت فيها أن الإلياذة لا تتغنى بعواطف الفرد؛ بل بعواطف الجماعة؛ لدرجة أن العديد من النقاد شكك في كونها من نظم –هوميروس– وحده، كما أن الهوميرية وهي: أول عمل أدبي في تاريخ اليونان تمثلت في الإلياذة والأوديسة قرونًا طويلة كأساس للتربية والتعليم وكعماد للمجتمع في قيمه وأعرافه إضافة إلى استلهام فنونه آنذاك؛ بل لقد سميت بـ (إنجيل اليونان) والتي تمثل منها في غير موضع تطور الفرد

بفكره وشخصه من التبعية المطلقة للجانب الروحي ، وعبر الآلهة في تعددها المزعوم وأدوارها المتعددة كإله الحب والحرب والجمال وغيرها والتي لا عقل لها أصلًا، تطور إلى صورة أخرى مغايرة يسيطر فيها عليه العقل كجزء من التفكير الجمعي العقلاني والإرادة الواعية، والاستقلالية التي شكلته كلبنة فاعلة في محيطه وبيئته الاجتماعية، والإقبال على الحياة التي عزف عنها منفردا والتكيف مع الجماعة والتعاون المتبادل والمثمر لتفعيل الحراك المجتمعي بكافة سبله وأنواعه.

وهناك –المنهج السقراطي– الحواري الفلسفي الذي رسخ أدبيات النقاش وجدوى الحوار الديمقراطي الشفاف والذي أراد به صاحبه الأخذَ بيد الناس في مجتمعه؛ ليزيل عنهم غشاوة الجهل ،ولينير لهم طرق الحقيقة ومثل الأخلاق والذي في نهجه لم يتقيد بزمان ولا بمكان لإعطاء أفكاره ومناقشة حواريه ومرتاديه؛ بل كانت قاعته الساحات والشوارع والطرقات؛ ليكون خير مثال في نقل المعرفة من الدائرة الضيقة الفردية عبر التأمل والذاتية إلى الدائرة الأوسع في مجتمعه الأثيني.

وتقارب هذا مع ما عرف لاحقًا بعلم اجتماع المعرفة في نقطة تحويل الفكرة الفردية إلى معرفة اجتماعية، واعتبار أن النتاج الفلسفي نتاج «اجتماعي» خالص، وفيما تضمنه الطرح الماركسي للرؤية الخاصة بعلاقة الأفكار بأدوات الإنتاج، أيضًا فيما رآه المجري – لوكاش – من أن أي مؤلف أدبي أو روائي لا يظهر من العدم ؛ بل تفرزه ظروف تاريخية واجتماعية ملموسة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعند بداية تصنيف الأدب عند الفلاسفة واللغويين صنف – أفلاطون– جنس الشعر إلى ثلاثة أنواع: القصصي، والمحاكاة، ومزيج منهما، وباستقرائها يتضح أن الأول والثاني يقعان ضمن المفهوم الجمعي في القص والمحاكاة، حيث إن هذين النوعين وفي السياق السردي والمحاكاتي –لا يقعان في دائرة الفردانية بأية حال من الأحوال، إلا ما كان استثناءً كالخاطرة مثلًا أو المناجاة بين طرفين وفي اتجاه محدد سواء ما كان منها دينيًا أو وجدانيًا أو قد يكون نفسيًا في بعضه، وعاملها المشترك انه يغلب عليها الاتجاه ذا المسار الواحد المجتمع .

أما المخاطب ومن يقع عليه الأثر فهو السواد الأعظم من الناس، أما مزيجهما الثالث فيمثله صوت الشاعر وعطاؤه الإبداعي المروي على ألسنة أفراد المجتمع كما في الشعر الملحمي ، أي ما يشكل بداية اطلاع مكثف على المضمون بصيغة فردية ، سرعان ما تشكل اتفاقًا جماعيًا على المحتوى من مبادئ وتأريخ لحروب ومسارات معتقديه، ويعزز هذا: افتتان المجتمع الأثيني بذلك حتى الإنسان العادي في حينه كان يحفظ بعض الأشعار الملحمية عن ظهر قلب وفي الغالب تكون مقياسًا لمدى المواطنة والمشاركة في صنع الأمجاد.

أما – أرسطو– صاحب أكبر تأثير في العلوم الغربية والشرقية – فقد فرق في تقسيماته الثلاث للشعر (الملحمي، والتراجيدي، والكوميدي) بشكل يتجلى فيه البعدُ الاجتماعي من خلال منظوره الضبطي من جهة، وتحفيز سبل الفضيلة من جهة أخرى ، فقد جعل من الشعر الملحمي خطابًا موجهًا إلى الناس (العامة) مرغبًا وداعيًا إلى أفضل ما لديهم من سمو روحي وإقدام، الهدف منه : غرس النبل والأخلاق الحميدة بمقياس ذلك الزمن

والحث عليها، فيما التراجيدية (المأساة) تقتصر في بعضها على مخاطبة الأراذل من أفراد المجتمع ، لغاية سامية تتمثل في : تطهير النفس عن طريق إثارة الشعور بالإشفاق، والخوف، وتأنيب الضمير، للحد من الخطيئة والانتهاك الأخلاقي عبر الرقابة الذاتية وغسل أدران النفس، فيما أتى الكوميدي خطابًا اتخذ الإشارة والإيماء لغرض التهذيب بواسطة نهج النقد والسخرية والتهكم والإضحاك [١] .

ويُسْتظهر مما تقدم : تقارب واضح بين الشكل الأدبي وعلاقته بالمجتمع كجزء من التأثر والتأثير العام الذي أُوجِد من أجله .

ـ رسالة الأدب .

كانت رسالة الأدب في كل عصر من عصوره : التجاوبَ مع البيئة البدوية وغيرها من البيئات المتحضرة فكان أصدق صورة لها ، وأجمل نفحة استروحت لها خواطرُها ، والتفاعل مع الحضارة في ظلال العصور الإسلامية ، فكان صدى لمدنياتها ،وانعكاسا لثقافاتها ، ومجالا لأحلامها .

من هنا أقول –وعود على بدء– ؛إن الأدب يصور جمال الحياة ، ومفاتن الحسن ، ومجالس الأنس ، ويُجَمِّل قبحَ الحياة ، وينير الخطوب ، وييسر كل عسير ، فيُحيل اليأس أملا ، والوحشة أنْسا ، والحزن مسرة ، والضيق فرجا .

---

(١) ينظر : ــ مجلة ديوان العرب مقال : العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي – سناء أبو شرار– الأحد ٢٦ حزيران ٢٠١٦م . والمدخل الاجتماعي للأدب ــ د . سيد البحراوي ـــ القاهرة ، دار الثقافة العربية سنة ٢٠٠١ صـ ٣ .و فائدة الشعر وفائدة النقد ت.س إليوت، ، ترجمة د. يوسف عوض، دار القلم ١٩٨٢ بيروت، ص٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أخيرا :متى نعود إلى أدبنا ؟ .

الأدب لم يتخلف في عصر من العصور ؛بل تخلف المجتمع ، الذي ما واكب الأدبَ في تطوره ، وانظر إلى حال الأدب الآن ، كيف يتطور في مجتمع تخلف عن الركب ؟ ، فأصبح المجتمعُ في واد والأدبُ في واد ، وهما صنوان لا يفترقان ؛ بل هما رُوحان في جسم واحد ، فلا بد من معاودة النفس وترتيب البيت الأدبي من الداخل ؛ وتربية النشء تربية أدبية ؛ لنعود على الأقل إلى ما كنا عليه من ازدهار أدبي وثقافي ،وأخيرا أقول : الأدب هو عنوان الأمة ، فما نهضت أمة إلا كان الأدب دليلها ، وما تخلفت أمة إلا لتخليها عن أدبها .

أهم مراجع ومصادر البحث:

ـ القرآن الكريم .
ـ أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم غرب ووسط الدلتا سنة ٢٠٠٣ ـ صـ٩٦ /أحمد فراج ـ (الثقافة والعولمة /صراع الهويات والتحديات)الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ.
ـ الأدب العربي بين البادية والحضر د. إبراهيم عوضين ص٣٤٤ وما بعدها – مطبعة السعادة- (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
ـ الأدب العربي في العصر العباسي د /ناظم رشيد ، ص ٣١ ، مديرية إدارة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
ـ أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ٧٩/١ لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، مطبعة الصاوي عام النشر: ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
ـ أصول النقد الأدبي الأستاذ / أحمد الشايب ص١ وما بعدها – الطبعة الثامنة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م .
ـ الأوراق – قسم أخبار الشعراء – لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى ٣٣٥هـ) الجزء الأول ص ٢٤ شركة أمل القاهرة ١٤٢٥ هـ .
ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ص ٤٨: دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ .
ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر ١ /٢٥ لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري (المتوفى: ٤٥٣هـ)
ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار لجار الله الزمخشري المتوفي٥٨٣ه الجزء الخامس ص٣٧: مؤسسة الأعلمي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ـ زهر الآداب وثمر الألباب المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ، أبوإسحاق الحُصري القيرواني(المتوفى: ٤٥٣هـ) الجزء الأول ص ٥٤ دار الجيل، بيروت .
ـ الزهرة باب :من منع من كثير الوصال قنع بقليل النوال : لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني البغدادي الظاهري (المتوفى: ٢٩٧هـ) الجزء الأول ص ٣٨ .
ـ الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي (المتوفى ٢٧٦هـ) الجزء الأول ص٣١٩- دار الحديث القاهرة (١٤٢٣هـ) .
ـ العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى٣٢٨ه)الجزء السادس ص١٦٨- دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ه).
ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى٤٦٣ ه) تحقيق /محمد محيي الدين عبد الحميد الجزء الأول ص٥٢- دار الجيل - الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) .
ـ فائدة الشعر وفائدة النقد ت.س إليوت، ، ترجمة د. يوسف عوض، دار القلم ١٩٨٢ بيروت، ص٣٩.
ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ص ١٣٦، دار المعارف مصر الطبعة الثانية عشرة .
ـ المدخل الاجتماعي للأدب ـ د . سيد البحراوي ـ القاهرة ، دار الثقافة العربية سنة ٢٠٠١ صـ ٣ .
ـ المدخل الاجتماعي للأدب ـ د . شوقي ضيف ـ القاهرة ، دار المعارف ـ طـ ٨ صـ ٩٦ .

ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) الجزء الثاني ص ٣٠ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب – بيروت .
ـ مجلة ديوان العرب مقال : العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي – سناء أبوشرار– الأحد ٢٦ حزيران ٢٠١٦م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٣١١
٢.	Abstract	٣١٢
٣.	الأفكار الرئيسة لهذا البحث :	٣١٣
٤.	أولاً- الأدب كائن حي ومرآة للداخل ، وتحته عناصرُ منها :	٣١٤
٥.	ثانياً - الأدب بين الماضي والحاضر .	٣٢١
٦.	ثالثا – العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي .	٣٢٢
٧.	رابعا - الأدب والمجتمع مقاربة تاريخية .	٣٢٧
٨.	وأخيراً: متى نعود إلى أدبنا ؟ .	٣٣٢
٩.	أهم مراجع ومصادر البحث:	٣٣٣
١٠.	فهرس الموضوعات	٣٣٦